(٢) القضية الفلسطينية عربيا

١ ــ فشل الجولة الثانية من جولات المصالحة

انتهت الجولة الثانية من مسلسل المصالحة بين المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني الى الفشل . ولقد جاءت هذه النهاية عكس ما كان يشيعه الاردن وبعض الاوساط العربية ، وخاصة المملكة العربية السعودية من جهة ، وعكس ما كانت تؤكده صحف عربية واوساط عربية تقدمية ووطنية من جهة أخرى . فلقد جاء في الوكالات من عمان « ان مصادر مسؤولة في الوفد الاردني الى محادثات الوساطة في جدة » اعربت « عن املها بالتوصل الى اتفاق نهائي وشامل بين الحكومة الاردنية ومنظمات المقاومة خلال اليومين القادمين » . واضافت هذه المصادر ان « جوا من التفهم ساد المحادثات مع وفد المقاومة الذي أبدى تجاوبا حسنا ونية حسنة » (الكفاح ١١/١٦ ، ٢٧٣٦) . وكان مصدر رسمي اردني قد اعرب عن تفاؤله بالمحادثات التي ستجري في جدة ، يوم ١٠/٣١ (الحياة ١١/١، ٧٩٧٤) .

وكان مثل هذا التفاؤل الاردني ــ السعودي يجد صدى مثيلا في الاوساط التقدمية والوطنية . وقد عبرت صحيفة (الحرية) عن ذلك بقولها : « ان الذين قبلوا بمنطق الوساطة العربية والمفاوضات مع النظام الاردني لن يستطيعوا ايقاف تيار التنازلات الجوهرية المتتابعة الان ، ذلك هو من صلب المنطق نفسه » (الحرية ٥٩٢) . وعادت (الحرية) فأكدت في الاسبوع التالي ان وفد المقاومة يسير على طريق التسليم (٥٩٣) .

فلماذا فشلت مباحثات المصالحة اذن ؟ وما سر التفاؤل الاردني الرسمي وتخوف الاوساط التقدمية الفلسطينية والعربية ؟

أولا : ان الوفد الاردني الذي كان يفاوض في جدة جاء الى جدة بأوامر صريحة وافكار محددة تدور حول ما يلي : أ ــ ان السلطة الاردنية هي ممثلة الشعب الفلسطيني ، وسوف نبحث هذه القضية فيما بعد . ب ــ ان السلطة الاردنية هي السلطة الوحيدة في الاردن ، وان اي عمل يتم في الاردن يتم من خلالها ، وتحت اشرافها . ج ــ ان المقاومة الفلسطينية ليست الا اعمالا فدائية لجماعات محدودة ، تعمل « ضد الاحتلال حيث يربض ويبسط ظله وطالما بقي » كما يقول حسين الى رئيس وفده الى المباحثات (الرأي ٧١/١١/٥، ١٣٥) . وهي بالتالي ليس من حقها ان تملك حريتها في العمل العسكري ، وليس من حقها ان تقوم بالعمل السياسي في اوساط جماهيرها . ولهذا كان الوفد الاردني صريحا في مطالبه ومقترحاته : فالمنظمة لا تمثل الشعب الفلسطيني ، والدولة هي صاحبة السيادة الكاملة على اراضيها ، والعمل السياسي ممنوع على الثورة والعمل العسكري تحت اشراف السلطة الاردنية ، وعدد الفدائيين المسموح بوجودهم لا يجوز أن يزيد على الالف . وكان طبيعيا ان يرفض وفد المقاومة كل هذه الشروط ، خاصة وهنالك رفض شعبي وفي اوساط قواعد المنظمات للمصالحة أصلا .

ثانيا : ان المفاوض الاردني ذهب الى جدة ، وهو يراهن على « توقعات » اخرى . وكان يجلس الى مائدة المباحثات مناورا ، وهو يتوقع احداثا تقلب الامور رأسا على عقب . فما هي هذه الاحداث التي كان المفاوض الاردني يتوقعها ؟ انها تتلخص في أمر واحد : انفجار حركة المقاومة من الداخل ، وفي هذه الحالة تتمكن العناصر المؤمنة بضرورة حصر المقاومة في عدد محدود من الفدائيين وحصر مهمتها في العمل داخل الارض المحتلة فقط من تحقيق الاتفاق المنشود . ولقد كان هدف المحاولة الرامية الى اغتيال ياسر عرفات خدمة مخطط التفجير هذا . وكانت دوائر المخابرات الاردنية ودوائر اخرى تعتقد ان اغتياله سيفجر حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، وسينهي مشكلة الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير ! ولكن مخطط الاغتيال لم ينجح ، ووفد حركة المقاومة لم يسر في مسلسل التنازل ، كما توقعت الحرية ، والضغط السعودي لم يثمر . وهكذا فشلت الجولة الثانية من المباحثات .

ويعود سر التفاؤل الاردني في تقديرنا الى ثلاثة عوامل :

اولها : ان الاردن ، الذي حقق انتصارات على حركة المقاومة ، خلال عام او يزيد ، ومنذ نهايات صدامات ايلول وحتى اليوم ، كان واثقا من قدرته على تحقيق المزيد من الانتصارات . وكان ما يراه